السنة الثالثة والستون والثلاث مئة

فيها أعاد عزُّ الدولة النَّوحَ يوم عاشوراء إلى ما كان عليه.

وأظهر الوزير أبو طاهر ابن بقيَّة العَدْلَ والإنصافَ والإحسان، فشكره الناس، وذَمّوا الشّيرازي، وشَهر ابنُ بقية السُّعاةَ بالناس على الجِمال بجانبَيْ بغداد، وحَبَسهم، ثم نفاهم.

وخلع عليه المطيع الخِلَعَ السُّلطانية، وكَناه، ولَقَّبه النَّاصح للدَّولة، وسعى في إصلاح الحال بين الحاجب سُبُكْتِكين وعزِّ الدولة، وتحالفا على التَّصافي، وركب الحاجب إلى عز الدولة، وخَدَمه ، ولم يعد بعدها اجتمع به إلا في المواكب، وعلى حالة الاحتراز.

وفي المحرَّم تقلَّد القضاء أبو الحسن محمدُ بن صالح ابن أم شَيبان الهاشميّ قضاءَ القُضاة، صارِفاً لأبي محمد عُبيد الله بن أحمد ابن مَعروف، وركب معه أبو طاهر بن بقية، ووجوه الناس إلى داره بباب البصرة.

وسببه: أن ابن معروف طولب ببيع دار أبي منصور بن أبي عَمرو الشِّيرازي من أبي بكر الأصبهاني صاحب سُبكتكين، فامتنع، فقيل له: إن الوكيل الذي يبيع نَصَبه الخليفةُ، وليس يُراد منك إلا سماع الشهادة والإسجال، فأقام على الامتناع، وأغلق بابَه، وسأل الإعفاءَ من القضاء، فأُعفي، وطولب ابنُ أم شَيبان بأن يُقَلِّد القضاء فامتنع، فألَحّوا عليه، فأجاب بعد أن شرط لنفسه شروطاً؛ منها: أنه لا يَرتزق على القضاء، ولا يُخلَع عليه، ولا يُشْفَع إليه في تغيير حقٍّ، ولا يُنْقَض ما يوجبه الشَّرع، ويُجعل لحاجبه وللفارض على بابه، ولخازن ديوان الحكم، ولكاتبه، وللأعوان ما يكفيهم.

فأجيب إلى ذلك ، وكُتب عهدُه على بغداد من الجانبين، وشقّ الفرات، وواسط، ودجلة، وطريق خُراسان، وحُلْوان، وديار بكر وربيعة، والمَوصل، والحَرَمَين، واليمن، ودمشق، وحمص، وجُنْد قِنَّسْرين، والعواصم، ومصر، والإسكندرية وغيرها، وكُتب عهدُه على ما جرت به العادة في العهود، وكان العهد من إنشاء أبي منصور أحمد بن عُبيد الله

الشّيرازي صاحب ديوان الرسائل، وحضر أبو طاهر مع ابن أمِّ شَيبان إلى المطيع، وسلّم العهد إليه.

وفي ربيع الأول لعشرٍ بقين منه سار عزُّ الدولة إلى الموصل، وسُبُكتكين الحاجب في مُقدّمته، وسببه: أن أبا الفضل الشيرازي حَسَّن لعزِّ الدولة الاستيلاءَ على المَوْصل، وأطمعه في تلك البلاد ليَشْغَلَه عنه، وقوَّى تلك المشورة أبو طاهر بن بقية، ووردت على ابنِ بقيَّة كتبُ أبي الحسن علي بن عُمر[1] كاتب أبي تَغْلب، يُخاطبه فيها بدون ما كان يخاطبه قبل ذلك، فغاظه، وشتم كاتب أبي تغلب في مجالسه، وبلغ الكاتب فكتب إليه بالكتابة المستوفاة، فلم يرُدَّه ذلك.

وانضاف إلى هذا أن حَمْدان وأبا طاهر إبراهيم ابنَي ناصر الدولة كانا عند عزّ الدولة، فكاتب أبو تغلب أخاه أبا طاهر، ووَعده بكلِّ خير، وأراد أن يَقتطعه عن حَمْدان، فأجابه، وطلب منه خيلاً تقف له في مكان عَيَّنه، فأرسل بها إليه، وهرب أبو طاهر من بغداد إلى الموصل، فعزَّ ذلك على عز الدولة وقال: هذا غَدْر.

وصغَّر حَمدان أبا تغلب في عين عزّ الدولة، وأطمعه في البلاد، وحَلَف على الوفاء له، وسار إلى الموصل وسُبكتكين في المقدمة؛ بينه وبين عزّ الدولة مرحلة من الجانب الغربي، واستمر سُبكتكين في الجانب الشرقي، ووصل عز الدولة إلى الموصل وقد انصرف عنها أبو تغلب إلى سِنْجار بجيوشه، وقد أخلى الموصل من كل شيء، ثم عطف من سِنجار يُريد بغداد، وعلم به عزُّ الدولة.

وكان سُبكتكين قد تأخَّر بحَديثة الموصل، فكتب إليه عز الدولة بالعبور إلى الجانب الغربي، والمسير في إثر أبي تغلب، ورد إليه حَمدان وجماهيرَ القُوَّاد، ورد أبا طاهر بن بقية في الزَّبازب[2] إلى بغداد.

وسبق أبو تغلب، ونزل القرية المعروفة بالفارسية على نهر الرُّفَيل، وبينها وبين بغداد فرسخان، وعامَلَ أهلَ السَّواد بالجميل، وأحسن إليهم، وضربت طلائعُه إلى باب بغداد، وخرج إليه جماعةٌ من العَيَّارِين والشُّطَّار مَسرورين به.

---

(١) في الكامل ٨/ ٦٣٤ : علي بن أبي عمرو.

(٢) يعني السفن.

وبرز عمدة الدولة أبو إسحاق بن مُعزّ الدولة ـ وكان يَخْلُف أخاه عز الدولة ـ إلى باب الشَّمَّاسِيَّة، وانتقل المطيع وأهلُه وجميع أسبابه إلى قصر معز الدولة، وعبر عمدة الدولة بطائفة من الجيش إلى الجانب الغربي لقتال أبي تغلب، ووصل ابنُ بقية فشدَّ من عمدة الدولة، وجاء الحاجب سُبكتكين إلى أَوانا، ورجع أبو تغلب إلى أوانا، ووقع الطِّراد بين العَسكَرَين، ثم تكافَّا وتراسلا في الصُّلح.

وأصعد أبو طاهر بن بقية من بغداد، واجتمع بسبكتكين، وحضرهما رسل أبي تغلب، واستقرَّ العقد على ما كان عليه في الأول وزيادة ألف كُرٍّ في كل سنة، وزيادة مال.

وسار أبو تغلب يريد الموصل، وعز الدولة في خفَّةٍ من العَسْكر، وتحدَّث الناس بأن المواطأة كانت من سبكتكين على عز الدولة؛ ولهذا لم يقاتل أبا تغلب، ولا جَرَّد العَزْم في قتاله مع القدرة، ودخل سُبكتكين بغداد، وأسلم عزَّ الدولة، وقامت القيامة على ابن بقية، وطالب سبكتكين بالعود إلى الموصل فتَثَقَّل.

وقيل: إنه همَّ في ذلك الوقت بالقبض على ابن بقية وعُمدة الدولة ووالدة عز الدولة وأولاده وأسبابه، فتوقَّف، ثم سار بالعسكر وبابن بقية إلى الموصل.

ولما عرف عزُّ الدولة رجوعَ أبي تغلب إلى الموصل جمع أطرافَه، وردَّ قُوَّادَه من النواحي التي كان فرَّقهم فيها، ونزل الدَّيْر الأعلى من الموصل، وعبَّى مَصافّه واستعدَّ.

وجاء أبو تغلب فنزل الحَصْباء مستعدًّا للقتال، ولم يبق بينهما من المسافة إلا طول قَصبة الموصل، وأحجَمَ كلُّ واحدٍ منهما عن مُناجَزة صاحبه تَجنُّباً لركوب الخطَر، إلا أن أبا تغلب كان الأظهر لكثرة عَدده، وكون أهل الموصل معه.

وكان الدَّيْلَم قد آذَوا الناس، وخاض الناس بينهما في إتمام الصُّلح الذي تقدَّم ذِكرُه، فاشتطَّ أبو تغلب، واستام النَّقيصَةَ من المال الذي قُرِّر عليه، وطلب من عزِّ الدولة أن يُسلِمَ إليه ابنتَه، وأن يُلَقَّب لَقباً سُلطانياً، فأجابه عز الدولة إلى ذلك.

وطلب عز الدولة من أبي تغلب إزالةَ الاعتراض عن ضياع حمدان وأسبابه، وإعادةَ ما أخذ منها، وتسليمَ قلعة ماردين إلى حمدان فإنّ أباه أعطاه إياها، فامتنع أبو تغلب من ذلك كلِّه، ولم يَلتزم في الصُّلح شيئاً من ذلك، فسكت عن ذلك.

واتفق غيبة حمدان ببغداد، وجرت الأيمانُ بينهما على يد الشَّريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسَويّ.

وانحدر عزُّ الدولة إلى الحَديثة، ودخل أبو تغلب الموصل، وكَحَل جماعة من أهلها تصرَّفوا مع عز الدولة، وقتل رجلاً من بني عَقيل يُعرف بأبي العجاج وكان قد استأمن إلى عز الدولة، ووصل سبكتكين وابن بقية بالجيش إلى الخدمة، واجتمعوا بعزّ الدولة.

وعلم حَمدان بالصُّلح، فعزَّ عليه كونُه لم يدخل في الصُّلح، وأَنِفَ أبو طاهر بن بقية من انصراف عز الدولة على الحالة التي انصرف عليها، وجعلوا كَحْل الجماعة الذين كَحلهم أبو تغلب وقَتْلَ العُقيليّ سبباً للرجوع إلى الموصل، فعادوا.

وهرب أبو تغلب إلى تل أعْفَر، وبعث بأبي الحسن بن عمرو كاتبه[1] إلى عزّ الدولة يُعاتبه على النَّقْضِ والغَدْر، فقبض ابن بقية عليه، وأهانه، وأذلَّه، وأنكر عليه كحْلَ الجماعة وقتلَ العُقيليّ، فاعتذر بأن أبا تغلب لم يَعلم بشيء من ذلك، وأن بعضَ غلمانه فعله.

ثم تقرَّر الصُّلح على أن يُفرِج عن ضياع حَمْدان دون قلعة ماردين، وأن يُنفِذ إلى عز الدولة القوم الذين كحلوا العمال وقاتلَ العقيلي، فبعث بهم أبو تغلب إلى عز الدولة، فعفى عنهم لعلمه بأنهم لا صُنْعَ لهم في ذلك.

وعاد عز الدولة إلى بغداد، وبعث الخِلَع السُّلْطانية لأبي تغلب مع كاتبه علي بن عمر، ولُقِّب بعدَّة الدولة، وحُملت إليه ابنةُ عزِّ الدولة مع بدر الحرمي في رمضان[2].

وفي شعبان توفي أبو الحسن محمد بن بقية أخو أبي طاهر، وكان أبو الحسن هو الأكبر، فمشى أخوه أبو طاهر في جنازته، وجلس للعزاء، وجاءه عزُّ الدولة معزِّياً.

وفيها في شعبان خرج عز الدولة من بغداد إلى الأهواز، ووقعت فتنة الأتراك، ولحق أبو طاهر بن بقية به.

---

(١) سلف قريباً أنه أبو الحسن علي بن عمر، وأنه في الكامل ٨/ ٦٣٤ أبو الحسن علي بن أبي عمرو، وفي تكملة الطبري ٤٣١ أبو الحسن بن عمرو، كما هنا.

(٢) من قوله في أول السنة: وأظهر الوزير أبو طاهر... إلى هنا ليس في (ف م م١).

ذكر السبب في ذلك: كان عز الدولة قد ضاق ما بيده من المال، وكَثُرت عليه المُطالبات من الجند وغيرهم، فأشار عليه ابنُ بقية بالانحدار إلى الأهواز لمُحاسبة أرادرويه[1]، وصَرْفِه عن البلاد، والنَّظر في المال وجمعه، وتفرقة الأتراك عن سبكتكين، والاحتيال عليه ليستريحا منه، ويتَّسعا بأمواله وإقطاعاته، فانحدر إلى الأهواز، فلقيهما أرادرويه بالمال والتَّقدمة، وخَدَمهما.

وأقام عز الدولة بالأهواز، فوقع بين غلامين من التُّرك والدَّيْلَم مُنابذة على بناء مَعْلَفٍ على باب دار أحدهما، فمنعه الآخر، وثارت الفتنة بين التُّرْك والدَّيْلَم، وكان لأرسلان التُّركي خيمةٌ على باب عز الدولة يقضي فيها الأشغال، فسمع أرسلان الضَّوْضاء، فركب، فعارضه بعضُ الدَّيْلَم، فشتمه أرسلان، فضربه الدَّيلمي فقتله.

وثار الأتراك يطلبون بدم أرسلان، ورَمَوا الدَّيلمَ بالنُّشَّاب، فقتلوا منهم رجلاً، وجرحوا نفراً، وخرجوا بأجمعهم إلى الصحراء.

واجتهد عز الدولة في كفِّ الفريقين فلم يقدر، فاجتمع إليه رؤساء الدَّيْلَم ـ وكانوا مُطَّلعين على اعتقاده في سُبُكْتِكين والأتراك ـ فقالوا له : هذا أمر قد انتشر ، وفي نفسك من سبكتكين ما فيها ، والوجه أن تَقبض رؤساءَ الأتراك الذين عندك ، وتنزل إلى بغداد فَتقْلَعَ سبكتكين عنها ، وتستريح منه ومن الأتراك ، فقَبِل منهم ذلك ، فبعث إلى رؤساء التُّرك : بختكين أرادرويه وغيره، فقبض عليهم، وقيَّدهم، واستولى على إقطاع سبكتكين بالأهواز وأسبابه، وكتب إلى البصرة بالنِّداء في الأتراك والإيقاع بهم، فنُهبت منازلهم وهربوا.

وكان عز الدولة قد عهد إلى والدته وإلى عمدة الدولة أخيه أنه إذا أرسل إليهما على جناح طائر من الأهواز أنه قد مات، فإذا جاء إليهما سبكتكين للعزاء قبضاه، فلما قَبض على رؤساء الأتراك كتب في تلك الساعة إليهما على جناح طائر بوفاته، وظن أن سبكتكين لا يتأخَّر عنهما، وكان أثبتَ وأعقلَ من ذلك، ولو حضر ما التفت؛ لأن غِلمان داره كانوا أربع مئة سوى الحُجَّاب والأتباع، وكان هذا الرأي ضعيفاً مع ما فيه

(١) في الكامل ٨/ ٦٣٥ : آزادرويه، وفيه خلاف كثير.

من الطِّيَرة والإشاعةِ المكروهة، فأرسل سبكتكين إليهما يسألهما عن الخبر، وكيف وَرَد، وتوقَّف عن الركوب إلى أن جاءته كتب أصحابه بما جرى، فجمع الأموالَ إليه، وأخبرهم أن السّتر قد انخرق، وأن دماءهم قد استُحِلَّت، وعَرَّفهم ما جرى على أصحابهم، فسألوه أن يتأمَّر عليهم فتوقف، وأرسل إلى عُمدة الدولة يقول:

إن الأمر قد انتقض بين الأتراك وعز الدولة انتقاضاً لا يلتئم أبداً، وإنهم قد أرادوه على الأمر فأبى أن يَخرج عن طاعة مواليه، وسأله أن يَعقد له الأمر، ويبقى عزّ الدولة مكانَه، ويَستميل له من بقي من الترك والدَّيلم، فأجابه، ووافقه على البكور في غدٍ ليَتِمَّ الأمر.

وبلغ والدته فخافت أن يؤول الأمر إلى هلاك أحد وَلَديها، فمنعته، وصار إليها مَن كان من الدَّيلم مُقيماً ببغداد، وقَوَّوا عَزمها على مُحاربة سبكتكين ومَن معه من الأتراك، فانتقض ما قرَّره مع عمدة الدولة.

واجتمع الدَّيْلَم في دار مؤنس التي ينزلها عمدة الدولة، وركب سبكتكين إليهم، وناصبهم الحَرْبَ، وأحرق جوانب الدار فاستسلموا، وسألوا سبكتكين الإفراجَ عنهم لينحدروا إلى واسط، وأن لا يَفْضَح حَرمَ مولاه وأولادَه، فاستحيا منهم، وجمع عُمدةَ الدولة أبا إسحاق وأخاه أبا طاهر محمداً ووالدتَهما والحرم وجميعَ مَن في الدار في زورق حديدي، وأحدرهم إلى واسط، وتفرَّق الدَّيْلَم وضَعُفوا.

وكان المطيع عند هذه الفتنة انحدر مع المُنْحَدِرين في زورق، فبعث سبكتكين فرَدَّه.

وقيل: إنهم جاؤوا به فأوقفوه على باب سبكتكين ساعة حتى استؤذن في أمره، فأمر بردِّه إلى داره، ووَكل به فيها على الوجهِ الجميل، واستولى على ما كان لعز الدولة ببغداد من السِّلاح والكُراع والأثاث وغيره.

ونزل الأتراك إلى دور الدَّيلم بعد أن نهبوها، وتعَدَّوا إلى دور أهل بغداد، والتجار، وأرباب الأموال، ووافقوهم العوامّ على النَّهب، فهُتكت الحريم، وتفرَّقت الأموال، وافتقر كثيرٌ من الناس، فركب صاحب الشُّرطة، ونادى في الناس، وصَلب جماعةً من العَيَّارِين عند الجسر، فسكنت الفتنةُ قليلاً، وتضافرت الألسنةُ بطاعة سبكتكين ونُصرته، فعرَّف منهم العُرَفاء، ونَقَّب النُّقَباء، وقَوَّد القُوَّاد، وخَلَع عليهم، وحملهم على الدَّوابّ، وصار له منهم جندٌ استجاش بهم.

وفيها أظهر المطيع ما كان يَسترُه من عِلَّته، وثِقَلِ لسانه، وتَعَذُّرِ الحركة عليه للفالج الذي ناله قديماً، فانكشف ذلك لسبكتكين، فدعاه إلى خَلْعِ نفسه، وتسليم الأمر إلى ولده الطائع لله، ففعل ذلك، وعقد له الأمر يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة، فكانت خلافتُه إلى أن خَلَع نفسَه تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً، وصورة ما كتب:

هذا ما أشهد على مُتضمَّنه أميرُ المؤمنين الفضلُ المطيعُ لله بنُ المقتدر بالله حين نظر لدينه ورَعيَّته، وشُغل بالعلَّة الدائمة عما كان يُراعيه من الأمور الدينية اللازمة، وانقطع إفصاحه عما يَجب عليه لله في ذلك، فرأى اعتزالَ ما كان عليه من هذا الأمر، وتسليمَه إلى ناهِضٍ به ، قائمٍ بحقّه، عَقده له، وأشهد بذلك طَوعاً. وذكر التاريخ المذكور، وفي آخره بخط القاضي أبي الحسن محمد بن صالح:

شهد عندي بذلك أحمد بن حامد بن أحمد[1]، وعمر بن محمد بن أحمد، وطلحة ابن محمد بن جعفر، وتوفي المطيع سنة أربع وستين، وكان بعد خَلْعه يُسمَّى الشيخَ الصَّالح.

الباب الرابع والعشرون

في خلافة الطائع لله

واسمه: عبد الكريم بن الفضل المطيع، وكنيته أبو بكر، وأمه أمُّ ولد يقال لها: عَتب، أدركت خلافته.

وبويع يوم خلع أبوه نفسَه طائعاً لا مُكرهاً، وذلك يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي القَعدة سنة ثلاث وستين وثلاث مئة، وسِنُّه ثمانية وأربعون سنة، وقيل: خمسون، ولم يلِ الخلافة أكبرُ سنًّا منه، ولا مَن له أبٌ حيٌّ غيره وغير أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وكلاهما كنيته أبو بكر.

---

(١) كذا في (خ ب) وأصل النجوم الزاهرة ٤/ ١٠٥ ، وفي المنتظم ١٤/ ٢٢٤ ، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٣٨ ، ومطبوع النجوم الزاهرة: أحمد بن حامد بن محمد.

وكان الطائع أبيضَ، أشقر، حسنَ الجسم، شديدَ القُوى؛ كان في دار الخلافة أُيَّلٌ عظيم يقتل الدَّوابَّ بقَرْنَيه، ولا يتمكَّن منه أحد، فرآه الطائع يوماً وقد صال على بَغلٍ فشقَّ راويته، فحمل عليه، فأمسك بقَرْنَيه، فلم يقدر على الإفلات منه، ودعا بنجَّار وقال: انْشُر قَرْنَيه، فنشرهما، حتى إذا بقيا على شيءٍ يسير فقطعه بيده، وهرب الأيل على وجهه، وسقطت فَرَجِيَّةُ الطائع عن كتفه، فتطأطأ بعض الخدم ليأخذها، فغمزه الطائع، وأشار إليه: ادفعها إلى النجَّار ـ وكانت من الوَشْي ـ فأخذها النجَّار وباعها بمئة وسبعين ديناراً.

وركب الطائع يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي القعدة في الجانب الشَّرقي من بغداد، وعليه البُردة، ومعه الجيش، وسُبكتكين بين يديه.

ومن غد هذا اليوم خَلَع على سبكتكين الخِلَع السُّلطانية، وعقد له لواء الإمارة، ولُقِّب نصر الدولة، وحضر عيد الأضحى، فركب إلى المصلَّى من الجانب الشَّرقي، وعليه السَّواد: قَباء وعمامة رُصافية، فصلَّى بالناس، ثم خطب فقال:

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر متقرِّباً إليه، ومُعتمداً عليه، ومتوسِّلاً بأكرم الخلائق لديه، الذي صيَّرني إماماً مَنصوصاً عليه، ووهب لي حُسنَ الطَّاعة فيما فوَّضه إليَّ من أمر الخلافة على الجماعة، الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر مُقِرًّا بجميل آلائه فيما أسنده إليَّ من حِفظ الأمة وأموالها وذَراريها، وقَمع بي الأعداء في حَضَرها وبَواديها، وجعلني خير مُسْتَخْلَف على الأرض ومَن عليها.

الله أكبر الله أكبر تَقَرُّباً بنَحْرِ البُدْنِ التي جعلها الله من شعائره، وذكرها في مُحكَم كتابه، واتّباعاً لسنَّة نبيه وخليله ﷺ في فدية أبينا إسماعيل وقد أُمر بذَبْحه، فاستسلم لإهراق دمه وسَفْحه، غيرَ جَزِعٍ فيما يأتيه، ولا نَكَل عن ما أمر به فيه، فتقرَّبوا إلى الله في هذا اليوم العظيم بالذبائح فإنها من تقوى القلوب.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، وصلى الله على محمد خِيرته من خلقه، وعلى أهل بيته وعِترته، وعلى آبائي الخُلفاء النُّجَباء، وأيَّدني بالتوفيق فيما أتولّى، وقمصني[1] من

(١) في المنتظم ١٤/ ٢٢٦ : وسددني.

الخلافة فيما أعطى، وأنا أُخوِّفُكم معاشرَ المسلمين غُرورَ الدنيا، فلا تركَنوا إلى ما يَبيد ويَفْنى، ويَزول ويَبلى، فإني أخاف عليكم يوم الوقوفِ بين يدي الله غداً وآدم ومحمد المصطفى، وصُحُفكم تُقرأ عليكم، فمَن أوتي كتابَه بيمينه فلا يَخاف ظُلماً ولا هَضْماً، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضَنْكا، ونحشره يوم القيامة أعمى، أعاذنا الله وإياكم من الرَّدى، واستعملَنا وإياكم بأعمال أهل التُّقى، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين. ثم نزل[1].

وفيها ازداد تَنشُّط[2] العامة، وصاروا حِزبين، فالشيعةُ ينادون بشعار عزّ الدولة، والدَّيْلَم والسنة ينادون بشعار سُبكتكين، وكَثُرت الفتن، وكُبست المنازل، وأُحرق الكَرْخُ ثانياً.

وكان حَمدان بن ناصر الدولة قد توجَّه إلى الرَّحْبَة، فراسله سُبكتكين، فعاد إلى بغداد في نصف ذي القعدة، وورد بدر الحرمي بغداد عائداً من المَوْصِل بعد تسليم بيت معز الدولة إلى أبي تغلب، ولما عَرف في طريقه ما جرى استتر ورجع إلى أبي تغلب، وخلَّى ما كان معه من أمواله وأموال التجَّار، فنُهب جميعُه.

وأما عز الدولة فإنه أدخل يده في إقطاع الأتراك بأسرها، وانقسم الأتراك بالأهواز قسمين؛ فقسم لحق بسبكتكين، وقسم تلافاهم عزُّ الدولة، وقالت الدَّيلم: لا بد لنا في الحرب من أتراك[3]، فأطلق بختكين أرادرويه، ورتَّبه موضع سُبكتكين، ولقَّبه حاجب الحُجَّاب، وقدَّر أن الأتراك يأنَسون به، ويعدلون عن سُبكتكين إليه، وردَّ الأتراك الذين نفاهم من البصرة إليها، وردَّ عليهم أموالهم، وأمَّنهم.

وبلغه خبر والدته وإخوته ووصولهم إلى واسط، فسار إليهم، واجتمع بهم، وكتب إلى رُكن الدولة يُعرِّفه حالَه، ويَستصرخ به، وتابع إليه المكاتبة، وكتب إلى أبي تَغلب يَستنجد به، ويعده بإسقاط ما عليه من المال إن جاء بنفسه وعسكره، وراسل عمران بن شاهين صاحب البَطيحَة، وأنفذ له خِلَعاً وفرساً بمركب ذهب، وتوقيعاً بإسقاط ما عليه

(١) من قوله: ذكر السبب في ذلك كان عز الدولة قد ضاق ما بيده.... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٢) في (ب خ ف): تبسط، والمثبت من (م م١).

(٣) هكذا وردت العبارة في (خ ب)، وهذا النص بتفصيلاته لم أقف عليه، وانظر الكامل٨/ ٦٣٤ .

من مال الصُّلح الذي كان صالحه عليه مع إبراهيم حاجبه، وسأله المصاهرةَ على إحدى بناته، وطلب منه عسكراً يُنفذه في السُّفن ليَستعين به على قتال الأتراك.

ولما صار عزُّ الدولة بين واسِط والأهواز هرب من الأتراك أربعُ مئة غُلامٍ من أنْجادهِم إلى بغداد، وبقي عزُّ الدولة في الدَّيْلَم.

وأما رُكن الدولة فأجابه، وعَظَّم عليه الخَرْقَ الذي خَرَقَه، وقال: هذا يحتاج إلى رجالٍ وأموالٍ وسِلاح وتَثَبُّت وتدبير، وأنه يَضعُف عن الحركة، وقد عَوَّل على عَضُد الدَّولة في المَسير إليه ومعونته، وكتب إليه عضد الدولة يقول: الواجبُ أن لا تُفارقَ واسِطاً حتى نَلْحقَ بك، ونَتَّفقَ على ما فيه الرَّأيُ.

وأما أبو تغلب فإنه احتاط في أمره، وبعث إليه رسولاً فأخذ خَطَّه، وأشهد عليه القُضاةَ والشُّهود والقُوَّادَ، واتفقا على أنه متى سار من واسِط سار أبو تغلب من المَوْصِل.

وأما عِمران بن شاهين فقال لرسوله إبراهيم: قد جئتنا في أمورٍ غير مُتَوجِّهة عندنا، أما المال المتروك فالتَّحَمُّدُ به علينا مع العلم بأنه باطل غير واقع موقعه، لكنا نَقْبَله، وأما الوُصْلَةُ فقد خطب إلينا الطالبيُّون وهم موالي فما أجبناهم، ولي أولاد أخ هم أكْفَاءُ لبناتي، ومع هذا فما زوَّجْتُهم لأني لا أُطيبُ نَفْساً بتسليم بناتي إلى الرِّجال، وأما الفَرَس والخِلْعَة فلستُ ممن يَلْبَس ثيابَكم ولا أركَبُ مَراكبكم، مراكبي هذه السفن، لكن ابني أبو محمد يَقْبَل ذلك ولا يَرُدُّه، وأما إنفاذُ عَسكري إليكم فإن رجالي لا يَسكنون إلى رجالكم لكثرة مَن قتلوا منهم، وبعد هذا فقل له: ينبغي أن تَثْبُتَ وتَتدبَّر وقل له: قد قَصَدْتَ مُحارَبتي فرجعتَ خائباً، وقصدتَ ابنَ حمدان فانصرفتَ كذلك، وقَصَدْتَ الأهواز وعُدْتَ على مثل هذه الصُّورة من الفِتنة، وإني أعلم أن أمرَك سَيَتأدى، وتجيء إلى عندي، وسأُذَكِّرُك هذا القول، وأُعامِلُك من الجميل بخلاف ما عامَلْتَني به.

وصار إلى عزِّ الدولة أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي مُفارقاً لسُبكتكين، وصار إليه أيضاً أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى العَلَوي من الكوفة مُقاطعاً لسبكتكين.

ذكر رسالة سبكتكين إلى عزّ الدولة:

بعث إليه فوهيار الدَّيْلَميّ ـ وكان قد اختار المقام عند سبكتكين ـ يقول لعز الدولة: قد جنيتَ على نفسك جِنايةً عظيمة بما دبَّرْتَه، وإني لك على ما عاملتَني به خيرٌ لك ممن تَسْتَجيش به علي، هؤلاء الغلمان قد نَفروا عنك نُفوراً لا يَسكنون إليك أبداً، فاقبل منّي، وأفرج عن واسط لتكون هي وبغداد في يدي بإزاء أموالهم، وخذِ البَصرة والأهواز بإزاء مالِ الدَّيْلَم، واجعل أمري وأمرَك واحداً، ولا تفتح باباً للحرب فلستَ من أهلها ورجالها، واعلم بأنني ناصِحٌ لك، ومُشفِقٌ عليك من عُقبى المخالفة، حافظٌ به لك وصيَّةَ مولاي رحمه الله فيك ـ يعني معزّ الدولة ـ التي ما حفظتَها أنت فيّ، والسلام.

فعرض عزُّ الدولة هذه الرسالة على الدَّيْلَم فأكبروها، ورَدُّوا فوهيار أقبحَ ردّ، فلما أُخبر سُبكتكين بذلك شرع في الاستعداد للحرب، وعَمل على المسير إلى واسط، وقدَّم أمامَه كتاباً من الطائع إلى عزِّ الدولة مع رجلٍ عَلَوي فيه:

من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى عزِّ الدولة أبي منصور مولى أمير المؤمنين: سلامٌ عليك، أما بعد، فإن أميرَ المؤمنين يَحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يُصلِّي على محمدٍ عبده ورسوله ﷺ.... وذكر الإسلامَ وفضلَه، والخلفاءَ المتقدِّمين، وحذَّر فيه من الفتنة، ووَعَد وأوعد، ثم قال: فإن انتقَلْتَ إلى حيث تُقلَّد من الأصقاع، وتَعدل في أهله، وتَصْدِفُ عن سَنن الجَوْرِ في معاملتهم؛ قابلناك بما تستحقُّ من الإكرام، وإن أبيتَ وأقمتَ على ما لا يَسوغُ الصَّبْرُ عليه في الدِّين والسِّياسَة؛ قَصَدْناك بجيوشنا، ونَفَرنا إليك كالنُّفور إلى الثغور، وهذا كتابُ الإنذار قبل بادِرَةِ القَصْد، فاخترِ الأَعْوَدَ والأجدى، وعَجِّل بالإجابة فإنا نَتَوَكَّفُها[1]، وإن كنَّا غيرَ لابِثينَ إلا رَيْثَ وصول الجواب، والسلام.

فلما وقف عزُّ الدولة وأبو طاهر بن بَقية على الكتاب استَفْحَشا ألفاظَه لما فيه من التَّقصير في خطاب عز الدولة، والتَّحَكُّمِ عليه ونسبته إلى الجَوْرِ والظُّلْم، وما فيه من

(١) يعني ننتظرها.

الوَعْدِ والوَعيد، ولم يَريا إجابةَ الطَّائع بالاعتراف له بالخلافة، لئلا يُلْزِمَهما لوازم الطَّاعة، ولم يَريا تَرْكَ الجواب فيكون ذلك نُكولاً عن الحُجَّة، فأمر أبا إسحاق إبراهيم ابن هِلال الصَّابئ أن يُجيب عنه بجوابٍ يُخاطبه فيه بالإمرة، وأن يُغْلِظَ له فيه، فكتب إليه جواباً منه:

للأمير أبي بكر عبد الكريم بن أمير المؤمنين المطيع لله من عزِّ الدولة أبي منصور بن مُعزّ الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين المطيع: سَلامٌ على الأمير، أما بعد: فإنه وصل كتابُه أحسن الله توفيقَه وتسديدَه، وهدايتَه ورُشْدَه، مُفْتتحاً بالاعْتزاء إلى إمرة أمير المؤمنين، والتَّقَلُّد لأمور المسلمين، وقد علم أن الخلافة تحتاجُ إلى إجماعٍ لا يَختلِفُ فيه رأيان، ولا يَختصم فيه اثنان، فإن تَعذَّر اجتماعُ الكُلِّ لانبساطهم في الأرض ذات الطُّول والعَرْض؛ فلا بدَّ من اتِّفاق أشرافِ كلِّ قُطرٍ وأفاضلِه، وأعيانِ كلِّ صُقْعٍ وأماثله، ليَحصل الإجماعُ حينئذٍ حُصولاً لا يَعْتَلّ، ويَنْتَظِمَ انتظاماً لا يَخْتَلّ، أو من عهدِ إمامٍ جائزٍ أمرُه وحُكمُه، أصيلٍ رأيُه وفَهْمُه مُمَكَّنٍ مما يُورِدُ ويُصْدِر، مُخَيَّرٍ فيما يأتي ويَذَر، غيرِ مَحجوبٍ عن الإرادة، ولا مَحْمولٍ على الكَراهة، ولا مُضْطَهَدٍ بالإخافة، ومع ذلك فليس له أن يُمضِيَ ذلك على المسلمين إلا بعد عَرْضِه على صُلَحائهم وخيارِهم، وكُبَرائهم وعُظَمائهم؛ ليَرجعَ الأمرُ إلى الاتِّفاق الذي هو القُطْبُ المُدارُ عليه، والعَمودُ المُشارُ إليه.

وقد علم الأمير أن الأئمةَ كانت إذا أرادت أن تَعْهَد عَهْداً أحْكَمت له الأُصول، ومَهَّدت له السَّبيلَ، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو القُدْوَة العُظْمى، وفيه الأُسْوَةُ الكُبرى، سُئل لمَّا احتُضِر عن الخليفة بعده فقال: لم أكن لأَتَحَمَّلها حياً وميتاً، وكيف أفعل ذلك وقد مضى رسول الله ﷺ ولم يَسْتَخْلِف؟ فلمَّا ألحَّ عليه المسلمون جعلها شُورى في الستَّة المعروفين، وفَوَّض إلى المسلمين أن يَختاروا لأنفسهم مَن يَرتَضونه ويختارونه ويُوَلُّونه، فإذا لم يكن البِناءُ ـ أيَّد الله الأمير ـ موضوعاً على أحد هذين الاثنين، ولا مَعقوداً على أحد هذين الوَجْهَين، بل كان مَعدولاً عنهما، ومُخَالفاً فيه شَرطهما فما أَخْلَقَ به أن تَتَقَوَّضَ أعاليه، وتَزِلَّ قدمُ بانيه.

ومعلوم أن أمير المؤمنين المطيع لله ـ تَولَّاه الله بالحراسة حياً، وبالمغفرة مَيتاً ـ بَرزَ عن داره هارباً خائفاً من الخَطَر الذي أُكرِه عليه، وإن هَرَبَه كان إلى جِهتي، وسُكونَه إلى جَنْبَتي، وأنه رُدَّ العُصاة، وحُصِرَ حَصْر العُتاة، وأقر في جيشه، وأُخيف على نفسه، ولم تُرْعَ له ذِمَّة ولا حُرْمَة، ولا وُقِّرَت له شَيْبة ولا كَبْرَة، فأصبح فريداً وَحيداً، مَسلوباً مَغلوباً، قد أُبعد عنه أنصارُ الدولة، وأحاط به غُواةُ الفتنة، لايَملك لنفسه ضَرًّا ولا نَفْعاً، ولا يستطيع نَصْراً ولا دَفْعاً، ولا يَصِحُّ من مثله اختيار، ولا يثبت عليه بالإقرار، ولاتَقَدَّمت منه مُشاورةٌ لأحد، ولامُكاتَبةٌ إلى طَرَف، بل أقدم عليه الطَّائفة النَّاشِزة التي لا تَتِمُّ بهم بَيعة، ولا أُقيمت لهم خُطبة[1]، ولا رضيت الأمة، ولا اجتمعت الكافَّة.

والأمير يعلم أنه لو أراد واحد من هؤلاء المماليك أن يَعقِدَ لنفسه عَقْدَ نكاح ما تمَّ إلا بأمري، ولا خرج عن حُكمي ، ومَن فعل ذلك منهم بغير أمري فهو مَلْعون على لسان رسول الله ﷺ، قال: «من تولَّى غيرَ مَواليه فعليه لعنةُ الله» الحديث[2]. وجميعهم بين مُسْتَرَقّ مُلكُه عائدٌ عليّ، وبين مُعْتَق وَلاؤه مَنسوبٌ إليّ، ولا يَنعقد بمثلهم أمرٌ، ولا يَنْفُذُ بقولهم حُكم، ولا يكون الأمرُ الذي انفرد به حُجَّةً على أعيان المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأسافلها وأعاليها، وأقاصيها وأدانيها، وكيف يكون الأمرُ تاماً بشِرْذِمةٍ من العبيد، مَحصورة العَدَد، مُنقطعة المَدَد، لم يخرج سُلطانهم ببغداد عن طَرَفها، ووراءها مني طالبٌ يَطلبها وينحوها، وقاصدٌ يَبتغيها ويَقفوها.

وقد علم الأميرُ أن من شرط وُلاةِ العهود تعريفَ اللُّقَطة، وردَّ الضَّالَّة، وحَبْسَ الأُبَّاق من أَرِقَّاء المسلمين والمعاهَدين عليهم، وإعادتهم إلى الانقياد إليهم، فما الحُجَّةُ عليَّ في الاشتمال على مَن هو في هؤلاء الغلمان من عَبيدي الذين لم يَخرجوا عن مِلْكي ببيعٍ ولا إعتاق، ولا إذنٍ ولا انطلاق، مع الدَّعوى أنه للبَرِيَّةِ سائس، وعليها رائس، وقد سمع اللهَ تعالى يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية[٤٤: البقرة]... وذكر فُصولاً أُخَر. وهذا الكتاب هو الذي أوجَبَ نكبةَ الصَّابئ.

---

(١) في هامش (ب): ولا أقيمت لهم حقيقة. وعليها إشارة الصحة.

(٢) قطعة من حديث علي ﷺ، أخرجه أحمد(٦١٥)، والبخاري(٣١٧٢)، ومسلم (١٣٧٠).

وكتب عزُّ الدولة إلى سُبكتكين كتاباً يَتضمَّن عِتابَه، فمنه: أما بعد؛ أطال الله يا أخانا على الطَّاعة اللائقةِ بك، والهداية المشاكِلة لفضلك بَقاك، وأدام عُلُوَّك وأبقاك، وأمتَعَنا بك في عَودِك إلى المَعْهود منك، وانصرافَ[1] عنا نَزْغَ الشيطان بك، إن أوْلى ما اعتمد عليه العاقلُ وأتاه، وذهب إليه وتوخَّاه: أن يَعرف الحقَّ الذي عليه، فيُؤَدِّيَه كما يَنبغي له ويَقتضيه، وأن يَحترِز في مَجاري كَلِمِه، ويَتَوَقَّى في مَساعي قَدَمِه، مما يوقع النَّقْصَ في الدِّين، ويُسْخِطُ ربَّ العالَمين، وإذا نزلت به نعمةٌ قَراها بغاية شُكرِه وحَمدِه، وأحسنَ ضِيافتَها بوُسْعِه وجُهدِه، وصانها عن عَواقب إنكارِه وجَحْدِه، إذ كان المنعم شَرَط ألا يَريم[2] ألا يَريم ما وجدته، ولا يُقيم ما فقدته، وكثيراً ما يُسْكِر الواردين حِياضُها، ويُغْشي عُيُونَ المُقْتَبِسين إيماضُها، فيَذْهَلون عن الامتراء لدِرَّتها، ويَعْمَهون عن الاستمتاعِ بنَضْرَتها، ويكونون كمَن أطار طائرَها لما وَقَع، ونَفَّر وَحْشِيَّها لما أنِس، ولا يَلبثون أن يَتَعَرَّوا من جِلبابها، ويَنْسَلخوا من إهابها، ويَتَعَوَّضوا منها بالحَسْرَةِ والغَليل، والأَسَفِ الطَّويل﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١]، ونُعيذُك بالله من الاستمرار على ذلك، ونَسأله أن يَأخُذَ قبل التَّمادي فيه بيدك.

وأنت ـ أدام الله عِزَّك ـ الرجلُ الرَّاجِح، الذي قد حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَه، وعَرف خَيرَه وشَرَّه، وتَحلَّى بحِلْيةِ الكُهول، وتَجَلَّل بملابس أرباب العقول، وقبيح بك أن تَهفُوَ هَفْوَة الجَذَعِ وقد قَرَحْتَ واحتَنَكْتَ، وأن تَغْلَطَ وقد مارَسْتَ ودارَسْت، وقد أجرى الله لك على أيدينا، وعلى يد الأمير معزِّ الدولة نَضَّر الله وَجْهَه قِبَلَنا نِعماً، ما ندَّعي عليك شيئاً منها إلا وأنت له مُسَلِّم، ولسانُ حالك به مُتَكَلِّم؛ لأن ذلك السيد الماضي غفر الله له أعطاك مالم تَسْمُ لك إليه هِمَّة، وخَوَّلَك ما لم يَبْلُغ منك إليه أُمنِيَّة، وفَضَّلك على كثيرٍ من عبيده وأوليائه، وأدانِيه وأقربائه، ولم يَدُرْ في خَلَدِه أنَّ مِثلَ إحسانه إليك يُكْفَر، ولا أن مِثلَ مَتْجَرِه فيك يَخْسَر، وقد جَذَب بضَبْعَيْك من مَطارِحِ الأرِقَّاء العَبيد، إلى مراتب الأحرارِ الصِّيْد، وأوْطَأ الرِّجالَ عَقِبَك، وأكثر مالَك ونَسَبك، وعَظَّم خَطَرَك وقَدْرَك، وأبعَدَ صِيتَك وذِكْرَك.

---

(١) كذا، ولعلها: وصرف.

(٢) في يتيمة الدهر ٢/ ٢٩٨، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٢٦٥: للنعم شروط من الشكر لا تريم ما وجد ولا تقيم ما فقد.

وكنتَ في أيامنا مُوَقَّراً مَصونا، مُوَقَّراً مأمونا، مُتَرَفِّعاً عن بَذْلِ الخِدْمَة، مَحمولاً على دالَّةِ الحُرْمَة، مُسامَحاً بما تَطلُبه، مُسَوَّغاً ما تَقْتَرِحُه، مُشَفَّعاً فيما تسألُه، مُجاباً إلى ما تَلْتَمِسه، نُقَرِّبُ مَن قَرَّبْتَ، ونُبعِدُ مَن أبعدْتَ، ونرضى ما رَضيتَ، ونكره ما كَرِهت، إقطاعاتُك مُقَرَّةٌ عليك، ومَوادُّكَ مُنْصَبَّةٌ إليك، لا تَعرِفُ إلا الصَّبوحَ والغَبوق، ولا نُلزِمُك شيئاً من الحقوق المؤدِّية إلى العُقوق، وأنت مَشغولٌ باقتناء الذَّخائرِ النَّفيسَة، وبناء الأبنية الرَّفيعة المَشِيْدَة، ونحن في نَوائبَ تُلِمُّ بنا، وجَوائحَ تَرِدُ علينا، وعَدُوٍّ نَهْدٍ نُساوِرُه، وأمرٍ مُضَيَّعٍ نُباشِرُه، وأنت مَشغولٌ بنفسك، لا ترى لنا ما يَراه الشَّريكُ لشَريكه، فَضْلاً عن المَولى لمَليكه.

وما زلتَ تَترقَّى في العُقوق؛ إلى أن صِرتَ لا تَحضُرُ عندنا في مَجلس، ولا تركبُ معنا في مَوكِب، ولا تهنِّئنا بعَطيَّة، ولا تُعَزِّينا عن رَزِيَّة، وتَدَّعي مع ذلك علينا أنا نَبْغيكَ بالغَوائل، ونَنْصُبُ لك الحَبائل، وما مُرادُك إلا أن تَتداولَ الناسُ دَعواك، ويَتفاوَضُوا شَكواك، فيتَخَمَّر في قلوبهم، ويَتقرَّر في نفوسهم أن ذلك رُخصةٌ في المَرْكِب الذي ارتَكَبْتَه، وفُسْحَةٌ في الإثم الذي احْتَقَبْتَه.

وعَلَّامُ الغيوب المُطَّلِعُ على ضَمائر القلوب يَشهد عليك باستحالةِ ما تَذْكُره، ويَشهد لنا بصَفاء ما نُضمِرُه، وإنا بريئون من كل ما زَعَمْتَ وظَنَنْتَ واتَّهَمْتَ، ولو كنَّا نُريد بك سُوءاً لكان مَرامُه أسهلَ وأيسرَ، وطَريقُه أخصَرَ وأقصر، وكنا قادِرين على انتهازِ فُرَصٍ منك كثيرة، منها: شَغَبُ غِلمانِك عليك، وإحاطتُهم بك، وهَرَبُك منهم وَحيداً، وخُروجُك من بينهم فَريداً، وقد علمتَ أنا وَقَيْناك منهم، وكفَيناك إيَّاهم، وأنْفَذْنا إليك مَن حَماك وحَرَسَك، وصانَك وحَفِظَك، وفَعلْنا في ذاك ضدَّ فِعلك في إفساد غِلماننا علينا، وتجرئتهم بالمكروه إلينا... وذكر فُرَصاً كثيرة وكلاماً طويلاً، فلم يلتفت سُبكتكين إلى ذلك، وأصرَّ على لقائه[1].

وحجَّ بالناس أبو منصور محمد بن عُمر العَلَوي، ولم يصلوا إلى مكة لعدم الماء، فعدلوا إلى المدينة، فلما وصلوا إليها بَرَكت الجمالُ مَيتةً من العَطَش، فوقفوا يومَ عَرفة عند رسول الله ﷺ، وخُطب بمكة للمُعزّ ولم يُخْطَب للمُطيع.

(١) من قوله: وكان حمدان بن ناصر الدولة قد توجه إلى الرحبة.... إلى هنا ليس في (ف م م١).

[فصل:] وفيها توفي

عبد العزيز بن أحمد بن جعفر[١]

[أبو بكر] الفقيه الحَنْبَليّ[، ويعرف بغُلام الخَلّال].

ولد سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وتَفَقَّه وصنَّف المصنَّفات في مذهب الإمام أحمد رحمة الله عليه، منها كتاب «المقنع» مئة جزء، وكتاب «الكافي» نحو مئتي جزء[٢]، و«الشَّافي» ثمانون جزءاً، و«زاد المسافر» و«التفسير» و «القولين»، وفي الأصول. وكان زاهداً.

وحكى الخطيب عنه أنه مرض فقال لأهله[٣]: أنا عندكم إلى يوم الجمعة، فقالوا: الله يعافيك، فقال: سمعتُ أستاذي أبا بكرٍ الخَلّال يقول: سمعتُ المَرُّوْذِيَّ يقول: عاش أحمد بن حنبل ثمانياً وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة، ودُفن بعد الصلاة، وعاش أبو بكر المَرُّوذِيُّ ثمانياً وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة، وعاش الخلال ثمانياً وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة، وأنا لي ثمان وسبعون سنة، وأنا عندكم إلى يوم الجمعة، وأموتُ وأُدفن بعد الصلاة.

فلما كان يوم الجمعة لسبعٍ بَقينَ من شَوَّال في هذه السنة مات، ودُفن بعد الصلاة بمقبرة باب الأَزَج عند دار الفيل.

[حدَّث عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وأبي خليفة الفضل بن الحُباب، والبغوي، وابن صاعد وغيرهم.

وروى عنه الدارقطني، وابن رزقويه].

وكان صدوقاً، وَرِعاً، ثقة، [صالحاً مأموناً] رحمه الله[٤].

---

(١) كذا في النسخ و(ل ص) من المنتظم ١٤/ ٢٣٠ كما أشار محققه، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٠٥، وفي تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٩، والمنتظم، والكامل ٨/ ٦٤٧، والسير ١٦/ ١٤٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢١٤، وطبقات الحنابلة ٢/ ١١٩: عبد العزيز بن جعفر بن أحمد.

(٢) كذا؟! ولم يذكروا من كتبه هذا الكتاب، وإنما يصدق هذا الوصف على كتابه الخلاف مع الشافعي.

(٣) في (ب خ): ولما مرض قال لأهله، والمثبت من (ف م م١).

(٤) ما بين معكوفين من (ف م م١).

أبو الفتح علي

ابن محمد بن أبي الفَتح[1]، البُسْتي، الكاتب، الشاعر.

كان فاضلاً يُعاني التَّجانُس، فمن شعره: [من المتقارب]

تَرَحَّلْتُ عنكم لفَرْطِ الشَّقاءِ ... وخَلَّفْتُ رُشْدي وَرائي وَرائي
فَنائي قريبٌ إذا غِبْتُ عنك ... وإمَّا رَجَعْتُ فَنَاءٍ فنائي

وقال: [من الوافر]

كتبتُ ولم تُجِبْني عن كتابي ... فأهَّلَني لتَسْرِيحِ الجَوابِ
أرِحْني بالإجابةِ من هُمومٍ ... أحاطَتْ من تَبارِيحِ الجَوى بي

و قال: [من الرمل]

إنما الجاهل إنْ لايَنْتَه ... فهو من غَفْلَتِه لايَنْتَبِهْ
خُذْه بالغِلْظَة كي تَنفعَه ... فلقد أضرَرْتَ أن لا تنتبه

وقال: [من المتقارب]

إذا مَلِكٌ لم يكن ذا هِبَهْ ... فدَعْه فَدوْلَتُه ذاهِبَهْ

وقال: [من المتقارب]

إذا ما ظَفِرْتَ بوُدِّ امرِئٍ ... قليلِ الخِلافِ على صاحِبِهْ
فلا تَغْبِطَنَّ به نِعمةً ... وعَلِّق يَمينَك يا صاحِ به

وقال: [من السريع]

إذا أتى خَطْبٌ فآراؤه ... تُغني عن الجَيْشِ وتَسْريبِهِ
وإنْ دجا ليلٌ فأنوارُه ... تُضيءُ للرَّكْب وتَسري بهِ

وقال: [من الطويل]

---

(١) كذا في (خ ب) والنجوم الزاهرة ٤/ ١٠٦ ، وهذه الترجمة ليست في (ف م م١). واسمه في سائر المصادر: علي بن محمد ـ ويقال: ابن أحمد ـ بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز. وقيل: علي بن محمد بن حسين بن يوسف بن عبد العزيز. انظر يتيمة الدهر ٤/ ٣٤٥ ، وتاريخ دمشق ٥١/ ١٥٧ ، والمنتظم ١٤/ ٢٣١ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٧٦ ، والسير ١٧/ ١٤٧ ، وتاريخ الإسلام ٩/ ٣٢ ، والبداية والنهاية ١١/ ٢٧٨ ، وديوانه ٢١ .

مَـواعـيـدُه بـالـوَصْـلِ أحـلامُ نـائـمٍ ... أُشَـبِّـهُـهـا بـالـقَـفْـرِ أو بـسَـرابِـه
فمَن لي بوَجهٍ لو تَحَيَّر في الدُّجى ... أخـو سَـفَـرٍ فـي لـيـلـه لَـسَـرى بـهِ

وقال: [من البسيط]

نَزَّهْتُ نَفسي عن الدُّنيا وزُخْرُفِها ... لا فِـضَّـةً أبـتـغـي فـيـهـا ولا ذهَـبَـا
نَفْسي الـتي تَـملِكُ الأشياءَ ذاهِبَةٌ ... فـكـيـف آسَـى عـلـى شـيءٍ إذا ذَهَـبـا

وقال: [من السريع]

يـاأيُّـهـا الـذَّاهِـبُ فـي مَـكْـرِهِ ... مَهْلاً فما المَكْرُ من المَكْرُماتْ
عـلـيـك بـالـصِّـحَّـة فـهـي الـمُـنـى ... تـحـيـي مُـحَـيَّاكَ إذا الـمَـكْـرُ ماتْ(١)

وقال: [من البسيط]

يـا مَـن يُـؤَمِّـلُ فـي دُنـيـاه عـافِـيَـةً ... أبْـعَـدْتَ مـا أنـت فـي دار الـمُـعـافـاةِ
دُنـيـا تَـغُـرُّ فـكُـنْ مـنـهـا عـلـى حَـذَرٍ ... والـدَّهْـرُ يـأتـي بـحـالاتٍ وآفـاتِ(٢)

وله من مُنكراته رحمة الله عليه: [من البسيط]

إذا عَـلا مَـلِـكٌ بـالـلَّـهْـوِ مُـشْـتَـغِـلاً ... فاحْكُمْ على مُلْكِه بالوَيْلِ والعَطَبِ(٣)
أما تَرى الشَّمسَ في الميزانِ هابِطَةً ... لأنـه بُـرْجُ أهـلِ الـلَّـهْـوِ والـطَّـرَبِ

وقال: [من البسيط]

إذا رَضِـيـتَ بـمَـيْـسـورٍ مـن الـقُـوتِ ... بَقيتَ في النّاسِ حيًّا غيرَ مَمْقُوْتِ(٤)
يـا قُـوتَ يَـومـي إذا مـا دَرَّ خَـلْـفُـك لـي ... فـلَـسْـتُ آسَـى عـلـى دُرٍّ ويـاقـوتِ

وقال: [من السريع]

طُـوبـى لـمَـن زالَـتْ مُـهـاجـاتُـه ... وطـال لـلـه مُـنـاجـاتُـه
يـا ربِّ مَـن أوْبَـقَـه ذَنْـبُـه ... فـفـي مُـنـاجـاتـك مَـنْـجـاتُـه

---

(١) روايته في صلة الديوان ٢٣١:

عـلـيـك بـالـصـحـبـة فـهـي الـتـي ... تـحـيـي فـتـحـيـيـك إذا الـمـكـر مـات

(٢) روايته في الديوان ٥٢:

دنـيـاك ثـغـر فـكـن فـيـهـا عـلـى حـذر ... فـالـثـغـر مـثـوى مـخـافـات وآفـات

(٣) في يتيمة الدهر ٤/ ٣٥٩: إذا غدا ملك... بالويل والحرب.

(٤) في صلة الديوان ٢٣٠: في الناس حراً.

وقال: [من السريع]

أُرْثُوا لِمَنْ لَيْسَ لَهُ إرْثُ وأَبِّنُوهُ ولَهُ فَارْثُوا
يا باغِيَ الخُلْدِ ألَسْتَ الذي غُذِّي بِمَا جَاوَرَه فَرْثُ

ولأبي الفتح: [من البسيط]

لا تُغْبَنَنَّ ولا تَخْدَعْك بارِقَةٌ من ذي وِدادٍ [يُري]بِشْراً وإلْطافا
فلو قَلَبْتَ جميعَ النَّاسِ قاطِبَةً وسِرْتَ في الأرضِ أوْساطاً وأطرافاً
لم تَلْقَ فيها صَديقاً[1] صادِقاً أبداً ولا أخاً يَبْذُلُ الإنْصافَ إن صافى

وقال: [من الطويل]

بنفسيَ مَن أهدى إليَّ كتابَه فأهْدى ليَ الدُّنيا مع الدِّينِ في دُرْجِ
كتابٌ مَعانيه خِلالَ سُطورِه لآلئُ في دُرْجٍ كواكبُ في بُرْجِ

وقال: [من الوافر]

لئن كَذَبَتْ ظُنوني في مَقامي لديكَ وخانَني الأملُ الفَسيحُ
فإنِّي لا أُخالِفُ قولَ ربِّي فأرضُ اللهِ واسِعَةٌ فسِيحوا

وقال[2]: [من الطويل]

وأشتاقُكُم يا أهلَ وُدِّي وبيننا كما يَزْعُمُ البَيْنُ المُشِتّ فراسِخُ
فأمَّا الفَيافي بيننا فطَويلَةٌ وأمَّا هَواكُم في فُؤادي فراسِخُ

وقال: [من البسيط]

يا آمِري باقتناءِ المالِ مُجْتَهِداً كيما أَعيشَ بمالي في غَدٍ رَغَدا
هَبْني بجُهديَ قد حَصَّلْتُ رِزْقَ غَدٍ فمَن ضَمِيني بتَحصيلِ النَّجاةِ غَدا

وقال: [من الكامل]

يا مَن يُخاطِبُ قومَه ليَقودَهم بخِطابِه نَحوَ الأَسَدِّ الأنْفَعِ
قلْ ما تقولُ لهم بوَزْنِ عُقولِهم وبوَزنِ عَقْلِكَ ما يُقالُ لك اسْمَعِ

---

(١) في الديوان ١٢٧ : لا تعتبن... من ذي خداع، فلو فليت، لم تلف منها صديقاً.

(٢) في (ب): وله.

وقال: [من الطويل]

ومن هِمَّتي عِشْقُ السَّماحِ وليس لي ... ثَراء على معنى السَّماحِ مُساعِدُ
وفي الكَفِّ قَبْضٌ للأمورِ وبَسْطَةٌ ... ولكنْ إذا ما ساعَدَ الكفَّ ساعِدُ

وقال: [من الطويل]

دَعوني وأَمْري واخْتِياري فإنني ... عَليمٌ بما أَفْري وأَخْلُقُ من أمري
إذا مرَّ بي يومٌ ولم أصْطَنِعْ يداً ... ولم أسْتَفِدْ عِلماً فما ذاك من عُمْري

وقال: [من الوافر]

وأهوى من بني الأتراكِ ظَبْياً ... دَقيقَ الخَصْرِ سَمَّوه قَراجا
بعثْتُ إليه أسْتهدي وِصالاً ... بلا مَطْلٍ فلما أن قَرا جا

وقال: [من مجزوء الكامل]

كم مُذْنبٍ قد ضافَني ... فَقَريْتُه صَفْحاً وغُفْرا
كم حاسِدٍ صابَرْتُه ... فقَتَلْتُه بالصَّبْرِ صَبْرا

وقال في ابن عَبَّاد الصَّاحِب: [من البسيط]

يا من أعاد رَميمَ المُلْكِ مَنْشُورا ... وضمَّ بالرَّأي أمْراً كان مَنْشُورا
أنت الوزيرُ وإن لم تُؤْتَ مَنْشُورا ... والأمرُ بعدَكَ إن لم تُؤتَمَن شورى

وقال: [من مخلّع البسيط]

إذا خَدَمْتَ المُلوكَ فالْبَسْ ... من التَّوَقِّي أعزَّ مَلْبَسْ
وادْخُلْ إذا ما دَخَلْتَ أعْمَى ... واخْرُجْ إذا ما خَرَجْتَ أَخْرَسْ

وقال: [من الطويل]

فلو نَسيَ اللهُ العبادَ دَعَوْتُه ... ليَذْكُرَني لكنَّه ليس بالنَّاسي
ولو كُنتُ أَدْري أين رِزْقي طَلَبْتُه ... ولكنَّه عِلمٌ طَواه عن النَّاسِ

وقال: [من الوافر]

فلا مَثْوى أَحُطُّ به رِحالي ... وأرْفَأُ فيه رَثَّا من مَعاشي[1]
ومَن يكُ من مَعاشٍ في ضَياعٍ ... فإنِّي من مَعاشي في مَعاشِ

(١) في (خ ب): وأريا فيه ريا من معاشي، والمثبت من الديوان ١١٢.

وقال: [من البسيط]

إذا تَحَدَّثْتَ في قومٍ لتُؤْنِسَهم ... بما تُحَدِّثُ من ماضٍ ومن آتِ
فلا تُعيْدَنَّ قولاً إنَّ طَبْعَهُمُ ... مُوَكَّلٌ بمُعاداةِ المُعاداتِ

وقال: [من المديد]

أقولُ للحائكِ الظَّريفِ وفي ... بَنانِه طاقةٌ يُخَلِّصُها
هلْ لك في ردِّ مُهْجَةٍ لفتى ... ليس له طاقةٌ يُخَلِّصُها[1]

وقال: [من الطويل]

وقالوا رُضِ النَّفْسَ الحَرونَ وكُفَّها ... تُطِعْكَ وأَلْزِمْها أداءَ الفَرائضِ
فإن لم تَرُضْها أنت وحدَك مُصْلِحاً ... وَجَدْتَ لها من دَهرِها ألفَ رائضِ

وقال: [من الطويل]

لنا صاحِبٌ فيه انْخِناثٌ وإنَّه ... يقول بأنِّي مُوْلَعٌ بلِواطِ
فتَباً له من كاذِبٍ مُتَزَيِّدٍ ... وشَيخٍ لِواطٍ يَسْتَجيبُ لِواطِ

وقال: [من مجزوء الكامل]

يا قومُ إنّي جائعٌ ... والجوعُ من إحدى الفَجائعْ
ولعلَّني قد كنتُ أُشْـ ... ـبِعُ كلَّ يومٍ ألفَ جائعْ

وقال: [من السريع]

يا فَرْحَةَ القَلْبِ ونَيْلَ المُنَى ... وصَفْوَ عَيْشِ الصَّبِّ إن صافَى
ومالِكاً يَظلمُني عامِداً ... عن قُدْرَةٍ إن رُمْتُ إنْصافا

وقال: [من الطويل]

سقى البارقُ الغَوريُّ عَذْباً من الحَيا ... مَحَلَّتَنا بين العُذَيبِ وبارِقِ
وأَغنى مَغانيها وأَرْضى رِياضَها ... وشَقَّ بلَطْمِ القَطْرِ خَدَّ الشَّقائقِ[2]

(١) في هامش (ب): هما لأبي نواس الحسن بن هانئ. قلت: ولم أقف عليهما لأبي نواس ولا للبستي فيما بين يدي من مصادر، وهما في ذيل تاريخ بغداد ١/ ٤٠٦ ، والوافي بالوفيات ١٩/ ٣٣٤ لعبد الوهاب بن ناصر الأقفالي البصري.
(٢) نسبهما الثعالبي في يتيمة الدهر ٥/ ٢١٠ إلى أبي بكر اليوسفي محمد بن أحمد.

وقال: [من الطويل]

عَفاءٌ على هذا الزَّمانِ فإنه ... زَمانُ عُقوقٍ لا زَمانُ حُقوقِ
فكُلُّ رَفيقٍ فيه غيرُ مُوافقٍ ... وكلُّ صَديقٍ فيه غيرُ صَدوقِ

وقال: [من الطويل]

يقولون ذِكْرُ المَرْءِ يَحْيَى بنَسْلِهِ ... وليس له ذِكْرٌ إذا لم يكن نَسْلُ
فقلتُ لهم نَسْلي بدائعُ حِكْمَتي ... فمَنْ سَرَّه نَسْلٌ فإنا بها نَسْلو

وقال: [من المنسرح]

مَنْ جَعلَ الصَّبْرَ في مقاصِدِه ... وفي مَراقيه سُلَّماً سَلِما
كم صَدْمَةٍ للزَّمانِ مُنْكَرَةٍ ... لما رأى الصَّبْرَ صَدَّ ما صَدَما
فاصْبِرْ فإنَّ الزَّمانَ عن كَثَبٍ ... يأْسُو على الرَّغْمِ كُلَّ ما كَلَما

وقال: [من الطويل]

رأيتُكَ تَكويني بِمِيسَمِ ذِلَّةٍ ... كأنكَ قد أبْدَعْتَ عِلَّةَ تَكويني
وتَلْويني الحَقَّ الذي أنا أهلُه ... وتَذْهَبُ في أَمْري إلى كلِّ تَلْوينِ
فأَمْسِكْ ولا تَمْنُنْ عليَّ فبُلْغَةٌ ... من العَيْشِ تَكفيني إلى يومِ تَكفيني

وقال: [من الكامل]

يا مُغْرَماً بوِصالِ عَيْشٍ ناعمٍ ... سَتُصَدُّ عنه طائعاً أو كارِها
إن المَنِيَّةَ تُخرِجُ الآسادَ عن ... غاباتها والطَّيرَ عن أَوْكارِها

وقال: [من الطويل]

أَنِسْتُ بأيَّامِ الشَّبابِ وظِلِّها ... وآنَسْتُ دَهْراً في جِوارِي الجَواريا
فلمَّا رأيتُ الشَّيبَ يَبْسِمُ ضاحِكاً ... بَكَيتُ فأَخْجَلْتُ العيونَ الجَوارِيا

مات البُسْتيُّ بما وراء النَّهر، وقيل: بدمشق، والأوَّلُ أصحّ.

[وفيها توفي]

عيسى بن موسى

ابن أبي محمد بن المتوكل على الله، أبو الفَضْل، الهاشميّ.

ولد سنة ثمانين ومئتين، وسمع الحديث [ورواه.

وروى الخطيب عنه أنه] قال: مَكَثْتُ ثلاثين سنة أشتهي أن أُشارِكَ العامَّةَ في أكل الهَرِيسة من السُّوق، فلم أقدِرْ على ذلك لأجل البُكور إلى سماع الحديث.

وكانت وفاته ببغداد في ربيع الأول.

[سمع محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، وأبا بكر بن أبي داود ولزمه نَيِّفاً وعشرين سنة، وروى عنه أبو علي بن شاذان وغيره،] وكان ثقةً مأموناً[1].

[وفيها توفي]

محمد بن أحمد بن سَهْل

أبو بكر، الرَّمْليّ النَّابُلسيّ، الزَّاهد.

[قال الحافظ ابن عساكر: كان مقامه بالرَّمْلَة] بعث إليه كافور الإخْشيدي بمالٍ، فردَّه وقال للرسول: قل لكافور: قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالاستعانةُ بالله تكفي، فرَدَّ كافور الرسولَ بالمال إليه وقال: قل له: قال الله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦] فأين ذكر كافور ههنا؟ المُلْكُ والمالُ لله، فقال أبو بكر: صدق كافور، هو والله صوفي لا أنا، ثم قَبِل المال.

وكان هذا الشيخ[2] ينزل أكواخَ بانياس تارةً، وتارةً الرَّمْلَة، فلما نزل المُعِزُّ مِصرَ كان يُفتي بقتالهم، وينال منهم، ثم عاد من الرَّمْلَة إلى دمشق خوفاً منهم، فلما ولي

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٥١٣، والمنتظم ١٤/ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢١٦.

(٢) في (ف م م١) قبلها: وقال ابن عساكر: كان هذا الشيخ، والمثبت من (خ ب)، والنص الآتي بتفصيلاته مجموع من روايتي ابن عساكر ٦٠/ ١٥٧، وابن الجوزي ١٤/ ٢٤٥. وانظر تاريخ الإسلام ٨/ ٢١٦، والسير ١٦/ ١٤٨.

أبو محمد الكُتاميّ دمشق أخذه، فجعله في قَفَصٍ من خَشَب، وبعث به إلى المُعِزّ، فلما دخل عليه قال له: أنت القائل:لو كان معي عشرة أسهم لرميت بتسعة في المِصْرِيّين وواحدٍ في الروم؟ قال: نعم، قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّكم غَيَّرتُم المِلَّة، وقتلتُم العلماء والصالحين، وادَّعيتُم أن نورَ الإلهية فيكم، فأمر أن يُشْهَر ثلاثة أيام، ويُضْرَبَ كلَّ يومٍ ألْفَ سَوْط، ثم يُسْلَخ في اليوم الثالث، ففُعل به ذلك، فقال في اليوم الأول وهو يُشْهَر: هذا امتحان، وفي اليوم الثاني: هذه كفَّارات، وفي اليوم الثالث: هذه درجات.

ثم سَلَخَه بعض اليهود من رأسه إلى قدمه وهو لا يتأوَّه، قال اليهوديُّ: فَرحِمْتُه، فطَعَنْتُه بالسكّين في فؤاده فمات، فأرَحْتُه، وحُشي جِلدُه تِبناً، وصُلِبَ.

ورُوي عنه أنه كان يقول: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨].

فرأى ابن الشَّعشاع المصريّ أبا بكرٍ في المنام وهو في هَيئةٍ حَسَنة فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: [من الوافر]

حَبـاني مـالكـي بـدَوامِ عِـزٍّ ... وواعَـدَني بـقُـرْبِ الانـتـصـارِ
وقَـرَّبَـنـي وأدْنـانـي إلـيـه ... وقـال انْـعَـمْ بـعَـيشٍ فـي جِـواري

[قال ابن عساكر: حَدَّث الرَّمْليُّ عن أبي سعيد بن الأعرابي وغيره، وروى عنه تمَّام ابن محمد، وعبد الوهَّاب المَيْداني، و]روى عنه الدَّارقطنيُّ وقال: حدَّثني الشَّهيدُ بالرَّمْلَة، وكان يذكره ويبكي [عليه ويقول: نِعمَ الرجلُ الرَّمْلي الشَّهيد] رحمة الله عليه.